

القسم الثالث: الشيعة و الجماعات الإسلامية

پدیدآورده (ها) : J. R. Cloe

تاریخ :: الموسم :: السنة 1414 - العدد 19

از 275 تا 292

آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/517091>

دانلود شده توسط : رسول جعفریان

تاریخ دانلود : 09/06/1396

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانین و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

www.noormags.ir

القسم الثالث

الشيعة والجماعات الإسلامية

Shi'ism and Muslim Social Groups

إن التكوين الأصلي والاجتماعي لجماعة الشيعة في أود قضية يتساءل حولها المؤرخ الاجتماعي الذي يبحث في الديانات وهذه الأسئلة صعبة، وقد حدث ازدهار أو نمو في الشعائر الدينية لدى الشيعة الإمامية، وانتشرت المؤسسات الدينية الرسمية في فترة الحكم النوبابي، ولم يحدث هذا في وسط فارغ أو خالٍ وإنما كان وسط خلقية من المعتقدات التي من الصعوبة بمكان إزالتها.

ومن السهل أن نتبع الشخصيات الشيعية البارزة التي احتشدت في بلاط الحكام وكثير منهم من إيران وكشمير ودلهي، وهذا أكثر سهولة من تعقب الموالين للإمام علي في المدن الصغرى والأسواق.

ومع ذلك فإن المشتغلين في العمليات الإحصائية والإداريين كانوا يجمعون معلومات مفيدة في إعادة تكوين الأصول الاجتماعية لأود الشيعة، كما أن التواريخ المحلية والأسرية تحتوي في بعض الأحيان على معلومات متعلقة بذلك.

إن هذه الدراسة للتأثير الشيعي على الجماعات الإسلامية الرئيسية في أود سوف تتجه أولاً إلى الطبقات النبيلة والتي معظمها من الطبقة العليا في الريف، ومن الإداريين المدنيين ومحصلي الضرائب من الفلاحين، أو من التجار.

كما أن هذه الدراسة ستتضمن نقاشاً للروابط ما بين التشيع والصوفية الأخوية في شمال الهند وهذه جماعات دينية لها أتباعها، وقد بقيت الشيعة دوماً جماعة صغيرة في أود، لكن تأثير هذه الجماعة في البلاط الحاكم أعطى لها أهمية لا تقاس بالعدد، فإن تأثيرهم كان تأثيراً عميقاً على ثقافة وحضارة أود.

الشيعة والاحصاء الرسمي للسكان

كان تعداد السكان الشيعة في شمال الهند في القرن الثامن عشر يعتمد على التخمين أولاً، ثم بعد ذلك أي بعد سقوط مملكة أود أصبح من الممكن الحصول على إحصاءات للمنطقة.

وتقدم الجداول الإحصائية لعام ١٨٨١ مثلاً أرقاماً لعدد السكان من الشيعة والسنة في كل منطقة من المناطق ذات الإدارة البريطانية في المقاطعات الشمالية - الغربية وفي أود (وهي منطقة تعادل المنطقة المحكومة من أود بالحكام شجاع الدولة في القرن الثامن عشر).

على أن من يقومون بأخذ الإحصائيات لا يقسمون المسلمين حسب الطائفة، وهكذا نستطيع أن نعرف عدد المسلمين في لكتو مثلاً ولا نعرف عدد من هم من الشيعة بينهم. وتتعذر الإجابة على المواضيع الخاصة في المجتمع بالنسبة للشيعة، ما لم تتوفر احصاءات سكانية مهنية بالنسبة لكل من الشيعة والسنة كجماعات مستقلة. كذلك فيجب ربطها بالوضع الاجتماعي للمسلمين بصفة عامة، وقد أعطت إحصائية عام ١٨٩١ جداول تبيّن المواضيع الدينية في الأقاليم الشمالية - الغربية وأود، والاحصائية التي تعيننا هنا بالنسبة للمنطقة. القسمين الأخيرين الإداريين في هذا القرن، الأول هو الأقاليم الشمالية - الغربية التي كانت تتألف من المناطق التي انتصر عليها البريطانيون شمال أود، بالإضافة إلى الأقاليم التي ضمها من نواب سادات علي خان في أود، عام ١٨٠١، والثاني هو منطقة أود. وهو الاسم البريطاني لمنطقة أود التي بقيت تحت حكم النواب بعد أن تخلى عنها إلى شركة الهند الشرقية في ١٨٠١، وقد ضم البريطانيون أود نفسها عام ١٨٠٦.

وكان يوجد في المقاطعات الشمالية الغربية وفي أود ما يزيد على مليوني مسلم، أي ٣٧٪ من السكان، وهم من المغول أو الأفغان، السادة أو المشايخ وكل الجماعات التي كانت مستكنة نتيجة الاحتلال. وقد كانت معظم الطبقات الرفيعة من المسلمين معارضة للاستخدام، ويطمحون للظهور بمظهر السادة ذوي الاستقلال، على أن معظم المغول كانوا يمتلكون ممتلكات وأراضٍ، كما أن كثيراً من السادة كانت لهم أراضٍ، وكان قسم كبير من الأفغان والمشايخ يعملون كحرفيين مهرة ولكن من ناحية أخرى فإن النخبة من أصحاب الأراضي قد ضمت بالتأكيد أعداداً كبيرة من المشايخ والبتانيين الأفغان.

طبقة النبلاء

على الرغم من أن الاحصائيات المتعلقة بطبقة النبلاء (الأشراف) لا تخبرنا إلا قليلاً عن الطبقات الاجتماعية، فهي تعطينا الكثير عن الفرق أو الجماعات، ولقد عرف ماكس ويبر Max Weber الجماعات status حسب الاشتقاق اللغوي فقال إنه مصطلح يأتي من التقسيم الموجود للمجتمع في أوروبا ما قبل الصناعة؛ إذ كان المجتمع يقسم إلى «درجات أو طبقات order» أساسها يقوم على الأعمال والحقوق.

على أن «فيبر» أو «ويبر» ينسب الكلمة «order» بالنسبة لألمانيا الصناعية في أوائل القرن العشرين لاستعمال جديد ينقل إلى الإنجليزية بمعنى «طبقات اجتماعية» أو مراتب اجتماعية «status groups» وفي عرض «فيبر» هذا نجد أن الطبقات الاجتماعية يحددها المركز الاقتصادي في حين أن «status groups» هي جماعات يحددها المركز الثقافي وهي ذات علاقة مبهمّة بالوضع الاقتصادي^(١).

(١) ماكس ويبر: الاقتصاد والمجتمع (بركلي ولوس أنجلوس: مط. جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٨)، الأول: ص ٣٠٥ - ٣٠٧، الثاني (ص ٩٣٢ - ٩٣٨).

إن تصنيف هذه الجماعات أو تعريفها يركز على أسلوب الحياة، وغالباً ما يكون مركز الجماعة أو صلابتها أكثر بالتزاوج فيما بينها فقط (الزواج اللحمي «بين أفراد القبيلة الواحدة») وهو المصطلح endogamy باللغة الانجليزية.

وقد أعطى وير مثلاً من بعض الجماعات الأمريكية وقال إن الجماعات بصورة عامة ترتبط بالطبقات الاجتماعية بطرق كثيرة، ومهما يكن من أمر فقد اعتبر أن الملكية هي إحدى الصفات.

وقد أشار أيضاً الى أن هذه الجماعات يمكن أن تتطور فتصبح طبقات، وهذه الطبقات تشعر من الناحية الدينية بأن اتصالها بأشخاص خارج نطاق طبقتها يمكن أن يندسها، فالجماعات يمكن أن تصبح طبقات عندما تكون هناك فروق أخلاقية.

إن تفسير «فير» للجماعات الإسلامية (الأشراف) يحل كثيراً من الاشكالات بالنسبة لمفهوم هذه الجماعات، طالما أن «وير» يرى أن الجماعات والطبقات ظاهرتان متشابهتان كسلسلة متصلة تبدأ بمحافل تقليدية وتنتهي بالطبقات ذات الأسلوب الهندي.

وقد بدأت الجماعات الإسلامية من طبقة النبلاء كجماعات حسب المنزلة ثم أصبحت طبقات، على أن تشكل الطبقات لم يشهد الكمال إلا نادراً بين الجماعات الهندية.

فمثلاً كل عضو في طبقة الشرفاء المسلمين يمكن أن يجد أن اتصاله بأحد المسلمين ضمن جماعة من الناس شيئاً مفسداً من الناحية الدينية، لذلك فقد رأى كثير من الأنثروبولوجيين في الهند أن «الطبقات» الإسلامية هي تشكيلات اجتماعية تشبه الطبقات الهندية الصرفة.

وقد ضمت الجماعات الرفيعة من السادة المسلمين ربع مليون شخص في المنطقة، مؤلفين حوالي ٤٪ من المجموع الكلي للسكان و ١٠٪ من طبقة النبلاء أو الأشراف، وقد أكد السادة أنهم ينتسبون الى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الى أحد من آله، وقد أعطت هذه الصلة بشخص الرسول الكريم لهؤلاء السادة مكانة خاصة وحقاً داخل المجتمع الإسلامي، ولقد أعلن كثير من الأشخاص هذا النسب في الهند.

وإن ١٠٪ من الأشراف المسلمين ممن يعيشون في المقاطعات الشمالية - الغربية وفي أود كانوا من السادة، في حين أن النسبة المئوية في أود كانت ١٢، وهذا الاختلاف البسيط يبين أن العائلات من السادة الفاطمية كانوا منجذبين الى أود خلال فترة النواب الذين كانوا أنفسهم سادة، وكانوا كشيعة قد حصلوا على مكانة خاصة كأعضاء من أسرة الرسول.

ولقد قسم سادة أود أنفسهم من ناحية النسب الى جماعات أخرى فرعية، أكبرها أولئك الذين ينحدرون من سلالة ابنة الرسول (فاطمة) وزوجها علي.

وكان البعض للحصول على شرف أكبر أو لتأكيد نسبهم يؤكدون انتسابهم الى علي وفاطمة من خلال أحد الأشخاص من نسلهما، وكثيراً ما يكون أحد الأئمة الاثني عشر الذين يُجلِّهم الشيعة الإمامية.

ولقد أكد أكثر من ربع السادة في أود انحدرهم من الإمام رضا وهو الإمام الثامن،

وما يقرب من ١٠٪ أكدوا انحدرهم من الإمام الحسين الإمام الثالث، وتقريباً ١٠٪ قرروا أن نسبهم يعود إلى زيد الشهيد.

وكان أولئك الذين ينتسبون إلى فاطمة ونسلها بما فيهم الشيعة الإمامية يشكلون ٦٧٪ من السادة. أما آخرون فقالوا إن لهم صلة بأحد أقرباء الرسول وهو عمه العباس مثلاً، أو قالوا إنهم ينتسبون إلى الطريقة الصوفية المعروفة بالششتية والقادرية والجلالية السهروردية، أو حسب المكان الأصلي لولادتهم مثل (بغداد، بخارى، سبزوار)^(٢).

وقد كانت هناك رابطة قوية بين السادة والشيعة الإمامية، وكانوا دائماً متعاطفين مع شخصيات شيعية ضد خصومهم وهؤلاء من السنة، وعلى الرغم من أن معظم السادة ظلوا من السنة فهم كانوا ميالين إلى التعاطف مع طائفة علي، وكان السادة سريعي التأثير بالأفكار الشيعية التي نفذت إلى الامبراطورية المغولية من إيران بعد عام ١٥٠١.

وقد كان حوالي ربع سادة أود في أواخر القرن التاسع عشر يعيشون في ضاحية لكنو، كما أن ١٢٪ كانوا يسكنون في ضاحية فايز آباد.

كذلك كان في بارابانكي وجوندا وهارودي، أعداد كبيرة من السادة، ولكن كلاً من الضواحي الأخرى في أود كان فيها حوالي أربعة أو خمسة آلاف من السادة.

وفي القصبات Qasabat كان هناك محطات تجارية محلية وفيها أسواق دائمة صغيرة، وكان أصحاب الأراضي قد بنوا المعازل وصهاريج الماء والمساجد وما ييسر وسائل الري^(٣).

ولقد كان أصحاب الأراضي في المدن في الأصل من أنماط عديدة، فالمغول كانوا يمنحون منحا من الأراضي (كمعاش) إلى المعلمين الدينيين والمتصوفين والسادة وغيرهم من العائلات الشريفة. ولكن كان بإمكانهم استعادة هذه المنح بأي وقت، ولذلك كان هناك نوع آخر من ملكية الأرض (زميندار Zamindari)، وكما كان مظفر عالم قد بين، فإن البلاط في دلهي في فترة أواخر القرن السابع عشر وأول الثامن عشر كان يعامل مالكي (المعاش) بحيث يعزز قوتهم لجعل أو تهيئة نوع من التوازن مع العائلات التي أخذت (زميندار) فإن كثيراً من الأسر المتعلمة والسادة الذين كانوا يملكون منحا استخدموا ثروتهم لشراء (زمينداريات)^(٤) ولقد كان هناك أحد البيوت الإسلامية التي أكد أفرادها الكثيرين في القرن التاسع عشر أن نسبهم يعود إلى السيد تاج Sayyid Taj، ويقال إنه هاجر من بلاد العرب، أو منتصف القرن الرابع عشر، وهناك أسرة أخرى تقول بأنها تنتسب إلى سيد أحمد، أيضاً من الجزيرة العربية، من خلال سيد فول Phul وسيد Payare وهي أسماء هندية ربما كانت تشير إلى

(٢) و. كروك W.Grooke: القبائل والطبقات في المقاطعات الشمالية - الغربية وأود، ٤ مجلدات (كلكتة: مكتب المشرف على الطباعة الحكومية، ١٨٩٦)، الرابع: ص ٣٠٢ - ٣٠٩.

(٣) س. أ. بايلي C.A. Bayly: الحكام، رجال المدن والأسواق (كامبريدج، مط. جامعة كامبريدج، ١٩٨٣)، الصفحات من ٤٦ - ٤٧، ٣٤٦ - ٣٦٨، و س. أ. بايلي: المدينة الصغيرة وأشرف المسلمين في شمالي الهند: مدينة كارا Kara، في كتاب حرره ك. بالهاتشيت وج. هاريسون بعنوان: المدينة في جنوب آسيا: ما قبل الحديثة والحديثة (لندن: مط. كورزون، ١٩٨٠) الصفحات ٢٧ - ٢٨.

(٤) مظفر عالم: بعض ملامح من التغيرات في مركز مالكي مدد ومعاش في أود من عام ١٦٧٦ - ١٧٧٢. سلسلة مطبوعات مؤتمر التاريخ الهندي ٣٥ (١٩٧٤) ص ١٩٨ - ٢٠٧.

الأصل الهندي.

كذلك تجدر الإشارة الى ذرية سيد سليمان النيشابوري Sulayman Nishapuri، الذي استقر في أود في عام ١٤٠٣ وتزوج من أسرة سيد أحمد الذي سبق أن ذكرناه. وقد حصل على منزلة كبيرة حتى أن الناس كانوا يزورون ويوقرون قبره كل عام في احتفال سنوي وذلك في القرن التاسع عشر.

وتضم أيضاً بيوتاً مالكة تدعى پيرپور Pirpur، و Kataria (تعلقدار)، من بينها أصحاب منازل رفيعة في القرن التاسع عشر.

ويقال إن الشيخ أحمد قتال لورستاني Ahmad Qattal Luristani قدم من إيران، ووصل في أوائل الأربعينات (١٤٠٠)، وكان من أسرته (١١) فرعاً ممن يمتلكون الأرض في أكبرپور Akbarpur، لكن تلك القرى التي استحوذ عليها في (تعلقة) پيرپور وسامانپور Pirpur & Samanpur وكانت إحدى عشرة من فروع أسرته تمتلك الأراضي في أكبرپور Akbarpur لكن هذه القرى التي استولي عليها من خلال «التعلق» لپيرپور وسامان پور Pirpur & Samanpur.

ويُفترض أن نسل أو سلالة لورستاني Luristani هم من الشيعة، أما في منطقة بيرهار Birhar فقد أكد سادة ناصرآباد Nasirabad انحدرهم من سيدنا ناصر الدين الذي قيل إنه هرب الى إيران خلال التمزق الذي أحدثته حملات تيمور العسكرية.

وقد منح أكبر Akbar الأسرة أراضي وضعت عليها اليد معفاة من الضرائب، رغم أن هذه الأراضي قد صودرت من قبل نواب سادات علي خان في القرن التاسع عشر^(٥). وفي (بارابانكي) Bara Banki، كان المشايخ المسلمون والسادة يمتلكون حوالي نصف القرى رغم أنه كانوا يشكلون فقط بين ٢,٦٪ و ٠,٦٪ من عدد سكان الناحية وذلك في أواخر القرن التاسع عشر. وقد مارس السادة في بعض المدن سيطرة تامة، وكان للسلطة الشيعة في زيدپور Zaydpur عشرة مساجد وسبعة عشر (إمام بارا Imambabahs) وفي أواخر القرن التاسع عشر غير أنه لم يسمحوا بتواجد مساجد للسنة أو معابد للهندوس^(٦).

وفي كينتور Kintue وبارابانكي Bara Banki كان للسادة ثلثا أراضي القرى بما فيها من عدد من الهبات المعفاة من الأجر^(٧).

وقد أكد السادة هناك أنهم ينحدرون من الأخوة السادة شرف الدين ومحمد النيشابوريين (من Nishapur)، الذي يقال إنهما تركا إيران الى أود في زمن هولواكو الامبراطور المغولي، وقد استقدم سادة كينتور النيشابوريين كثيراً من العلماء الشيعيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر^(٨).

(٥) معجم مقاطعة أود، ٣ مجلدات (اله آباد: مط. الحكومة في المقاطعات الشمالية - الغربية وأود، ١٨٧٧)، الأول: ص ١٤ - ١٧، ص ٣٢٤.

(٦) نفس المرجع السابق، الأول: ١٤١، ١٧٩، ٢٠١، الثاني: ص ٨٢ - ٨٣، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٧) هـ. ر. نيفيل، تحرير بارابانكي DG BaraBanki (الله آباد: مط. حكومة المقاطعات المتحدة، ١٩٠٤) ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٨) محمد علي كشميري: نجوم السما في ترجمان العلما (لكنو: مط. جعفرية، ١٣٠٢ / ١٨٨٤) ص ٤٢٠.

وقد كان السادة أصحاب الأراضي يسعون للتأثير الاجتماعي والثقافي في المدن الصغيرة التي ساعدوا على تأسيسها في هارودي Harodi أيضاً، وفي القرن التاسع عشر كان حوالي ثلاثة آلاف من السادة يمتلكون نصف الأراضي في بيلجرام Bilgram، وكانوا يقولون إنهم ينحدرون من سلالة السيد محمد الواسطي الذي استولى عليها في عام ١٢١٧ م (ويقال أيضاً إنه هو نفسه من ذرية سادة بارها Barhah في مظفر نر Muzaffarnagar شمال أود).

وقد اتبع سيد اسماعيل بيلجرامي Bilgrami في زمن شاه جهان Shah Jahan المذهب الشيعي^(٩)، بل إنه حتى في الجو السنني القاسي لأورانجزيب Awrangzib في الهند، كان هؤلاء السادة البيلجراميين يكتبون مراثي لآل الرسول، مثل علي، وبهذا يرفعون من شأن نسبهم^(١٠).

وقد اتبع بعض الأشخاص البارزين من عائلات بيلجرام المذهب الشيعي في أواخر القرن الثامن عشر، وكان أبناء عمومته في بارها Barhah قد اتبعوا هذا المذهب قبل ذلك بقرات.

وقد كان السادة أيضاً ذوي أهمية في سانديلا Sandila وهي (قصة) أخرى من هارودي Harodi حيث كانوا يملكون ٨٪ من القرى المحيطة في القرن التاسع عشر^(١١).

وإن سادة جيس Jais وناصرآباد في راي باريلي Ray Bareli يمثلون نموذج الاستقرار وامتلاك الأراضي ثم اتباع المذهب الشيعي، وقد حاولوا المحافظة على البقاء في نفس خط سيد نجم الدين السبزواري، الذي يقال إنه مرافق سالار مسعود غازي Salar Masud Ghazi في حملته في شمال الهند في القرن الحادي عشر.

وبعد السبزواري بسبعة أجيال ابتعد سيد زكريا حوالي ثلاثة أميال وقد وجد مستقراً جديداً له داخل حصن أصبح فيما بعد ناصرآباد، وقد امتلك سادة جيس Jais وناصرآباد أراضٍ منحت لهم من قبل الحكومة المركزية وسيطروا على القرى المحيطة، ولكن نظراً للصراع الدموي بينهم وبين القبائل الهندوسية فقد خضعوا لقوة أمراء الهند (Rajas).

وقد استفادوا من التجارة بين دلهي واله آباد، ثم فيما بعد من تجارة النسيج المزدهرة في المنطقة، وقد قام شخص من جماعتهم بتعليم بهادور شاه (حكم من ١٧٠٧ - ١٧١٢)، وخلال حكمه الذي كان فترة نفوذ شيعي كبير في البلاط الحاكم، اعتنق بعض السادة في ناصرآباد مذهب الشيعة الإمامية، ثم فيما بعد عمل الحكم النوابي الشيعي في أود وفقاً للعقائد الشيعية^(١٢).

(٩) سيد محمد حسين نونكانوي Nauganavi: تاريخ بي بها في تاريخ العلماء (دلهي، مط. جيدبرقي، دون تاريخ)، ص ٤ - ٥.

(١٠) سيد محمد بلجرامي: «تبصرة الناظرين»، مخطوط فارسي HL.158، ص ٢٩٤ - ٢٩٩، مكتبة خودابخش الشرقية العامة، باتنا.

(١١) معجم مقاطعة أود: الأول ص ٣١٣ - ٣١٦، الثاني: ص ٣٢ - ٣٤، الثالث: ص ٢٢٦ - ٢٣١.

(١٢) هاشم علي الرضوي: مرآة البلاد، مخطوط فارسي رقم ٢٥٥١ ص ٢٢٦ - ٢٣١، مكتبة المخطوطات الحكومية، اله آباد، سيد عابد حسين: تاريخ جيس Jais (الله آباد: مط. جلال، ١٨٧٨) ص ٥ وما بعدها، سيد محمد علي: مخزن أحمددي (أجرا: م. المفيد العامة، ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م، ص ٤٧، راماساهايا

وقد برزت في ناصراًباد شخصية دينية كبيرة هي سيد ديلدارعلي (١٧٥٣ - ١٨٢٠)، الذي سوف نتحدث عن أعماله في الفصول التالية.

أما في جرول، وباهريش Jarwal, & Bahraich فإن السادة كانوا ينحدرون من سيد زكريا الذي ترك إيران خلال الغزر المغولي من قبل جنكيزخان، وحصل على منحة مقدارها ١٥,٠٠٠ (bigha) من سلطان دلهي (غياث الدين).

وفي عام ١٨٠٠ حل سادة جرول ومنهم الشيعة، محل مشايخ الأنصاري وسيطروا على ٢٧٦ من مجموع القرى التي بلغ عددها ٣٦٥ في الـ Parganah، رغم أن ممتلكاتهم فيما بعد نقص عددها فأصبح (٧٦) قرية في عام ١٨٧٧^(١٣).

إن انتساب كل السادة الى علي، وأحاسيسهم ما قبل تكون الشيعة، أدت الى تطوير الحوادث الأصلية التي تترابط مع مأساة كربلاء حين توفي حفيد النبي «الحسين بن علي» وهو يحارب الحكومة الأموية في عام (٦٨٠ م).

وقد كتب أحد المؤلفين السادة من Jais عن (القصة) في أود في القرن التاسع عشر وقال إن معظم رؤسائهم كانوا من السادة أو المشايخ لأن هذه الجماعات وهم ممن يدعمون (علي والأئمة ضد غيرهم من طالبي الحكم في الدولة الإسلامية، قد تركوا البلاد الإسلامية التي هي مركز للإسلام خوفاً على حياتهم عندما حوربت الشخصيات الدينية).

ولقد اتجه هؤلاء نحو أفغانستان ومنها الى شمال الهند واستقروا في الأماكن التالية: جاييس، ناصر آباد، مانكپور، سالون، بلجرام، سلطان پور، سيتهان، رودولي، أميثي وغيرها...

وأصبحوا فيما بعد من مالكي الأراضي (زاميندار)^(١٤)، وتقول الحوادث أو الروايات Myths أن هؤلاء السادة وبعض المشايخ قاموا بجهد كبير كرواد مسلمين في وسط بيئة عدائية من الهندوس، وذلك بسبب يشبه ذلك الظلم الذي لحق بعلي والحسين وذلك بإنكار حقوق آل السياسية بعد وفاته.

واستمر هذا المؤلف يقول، بل إنهم، أي هؤلاء السادة والمشايخ المشايخين لعلي، وجدوا أنفسهم ملاحقين من قبل السنة المتعصبين مثل المهاجرين الأفغان الى شمال الهند الذين يتحدثون لغة الپوشتو Pushtu. ولقد رفض الأفغان وهم خصوم للسادة أن يزوجوا بناتهم الى هؤلاء^(١٥).

وكانت العائلات التي تعلن أنها من السادة تتنافس على الأرض مع المشايخ الذين يُرجعون نسبهم الى أبي بكر أو عمر، وكان الشيعة يقولون إن الخليفة أبا بكر والخليفة عمر قد اغتصبوا الحقوق من آل النبي.

ولقد تتبع السادة أيضاً التجارة في مراكز المدن، وقد عرف الحرفيون من السادة في أمروها

Ramasahaya تامانا Tamanna: أفضل التواريخ (لكنو: مط. تمني، ١٨٧٩ م) ص ١٥٠ - ١٥٢.

(١٣) معجم مقاطعة أود، الأول ص ١٤١، الثاني ص ٨٣، ٩٩ - ١٠٠.

(١٤) حسين، تاريخ جاييس Jais، ص ٩.

(١٥) نفس المرجع السابق.

Amroha بالفخار المطلي بالذهب والمزخرف برسوم ملونة تمثل الزهور^(١٦).

وقد اشترك السادة في لكنو Lucknow في كل الحرف والصناعات بالإضافة الى التجارة^(١٧)، وقد كتبت عن هؤلاء سيدة تدعى (مسز علي) وقد عاشت لفترة عشر سنوات في وسط الشيعة في لكنو خلال أوائل القرن التاسع عشر، فقالت:

«لقد كان من هؤلاء كتاب وملاً ومنهم دكتور في القانون، وقراء للقرآن، كما سمح لهم بدخول الجيش^(١٨)» وذكرت هذه السيدة أنه كانت هناك تقدمه خاصة بين الشيعة للفقراء من السادة، والمؤمنين تعطيهم الخمس من أي مبلغ يخصص للإحسان، ومع ذلك فقد أقرت مسز علي بأنه ما من سيد محترم كان يقبل مثل هذا الإحسان، وأشارت أيضاً الى أن كثيراً من السادة رفضوا الهبات في حالة شكهم بأنها أتت من الربا^(١٩).

وذكرت أيضاً أن السادة كانوا يهتمون بالنسبة لمسائل الزواج، بالمولد والنسب أكثر من اهتمامهم بالثراء، وكانت بعض العائلات الفقيرة تفضل بقاء بناتها عوانس عن زواجهن من أشخاص غير السادة هؤلاء أو لا يتسبون إليهم.

وقد وصفت مسز علي شخصاً من السادة فقيراً كانت لديه بنات غير متزوجات، وكن متعلقات تعليماً جيداً يقرآن القرآن باللغة العربية وتفسيره بالفارسية.

وكانت هذه الأسر تفضل بقاء بناتها بلا زواج يقضين الوقت بأشغال الإبرة، بدلاً من زواجهن من أشخاص ذوي ثراء ولكن ليسوا من السادة^(٢٠).

وحاول هؤلاء الحصول على موضع مشرف وذلك بالتمسك بالتقاليد الاجتماعية (حيث الفتاة تتزوج شخصاً مساوياً لها من الناحية الاجتماعية أو يفوقها من هذه الناحية)^(٢١).

وعلى الرغم من أن مسز علي تقول بأن بعض الأسر من السادة غير المتشددين كانوا في بعض الأحيان يسعون الى ضمان تحسن أحوالهم الاقتصادية وذلك بتزويج بناتهم من أشخاص ذوي ثراء من غير السادة.

وفي بلاط الحكام النواب في لكنو كان رجال البلاط يكون الاحترام للسادة الذين لهم علاقات اجتماعية جديدة، فمثلاً في الاستعراضات العسكرية كان السادة يسيرون أمام الآخرين، وقد رُوي أن من بين هؤلاء مير إنشاء الله خان، وهو سيد كانت أسرته قد نزحت الى شمال الهند من النجف في العراق، وهو شاعر كبير ورفيق مرح لنواب سادات علي خان (١٧٩٩ - ١٨١٤)^(٢٢).

وذات مرة أثناء حديث له مع النواب، أشار في زلة لسان الى حديقة تدعى «إمام باغ»

(١٦) مرتضى بيلجرامي: حديقة الأقاليم (لكنو: ناقل كيشور، ١٨٧٩)، ص ١٣٨.

(١٧) معجم مقاطعة أود، الثاني ص ٣٧٨.

(١٨) مسز مير حسن علي: ملاحظات حول مسلمي الهند، تحرير و. كروك (لندن، مط: جامعة أكسفورد، معاد طبعه ١٩١٧)، ص ١٣٧.

(١٩) نفس المرجع، ص ٣ - ٤، ١٣٧.

(٢٠) نفس المرجع، ص ٤ - ٥.

(٢١) وير: الاقتصاد والمجتمع: الثاني ص ٩٣٥ - ٩٣٦.

(٢٢) محمد علي آزاد: أب - حياة (الله أباد: رام نارايان لول بيني مادهو، ١٩٨٠).

Imambagh أي (حديقة الإمام)، فذكر «إمام باب» (أب الإمام)، وربما كان هذا التلميح غير المقصود إلى النبي مخالفة كبيرة للقواعد المرعية، إلا أن سادات علي خان سامح الشاعر نظراً إلى أصله وانتسابه إلى السادة.

وكان سادات علي خان لا يسمح بأي إشارة لا تحمل الاحترام إلى آل البيت في بلاطه ومع ذلك فقد كان أحياناً يلتمس العذر لبعض الأشخاص أمثال هذا الشاعر^(٢٣).

كان السادة يتمتعون بالاحترام والإجلال في البلاط وفي المجتمع السياسي المهذب، إلا أن مركزهم لم يكن متيناً، ورغم محبة هذه الجماعة للناس والخير فلم يكن حالهم جيداً تماماً وكانوا لا يأخذون حقوقهم السياسية كاملة.

فعندما وافق سادات علي خان على التخلي عن نصف ممتلكاته للبريطانيين في عام ١٨٠١ وذلك لدفع الديون التي كانت على النواب السابق تجاه الحاكم العام، لم يكن موافقاً على منح أي أراضٍ للعائلات كعائلات السادة، إلا أنه استعاد المنح السابقة للسادة في مناطق مثل بيرهار، فايزآباد، ساندي، وهارودي^(٢٤).

وكان الخلاف أو الشقاق بين السنة والشيعة يسبب مشاكل للسادة فقد كان كل منهما يوقر أولئك الذين ينتمون إليه، على الرغم من أن كلا الفرعين من الدين الإسلامي كانا يوقران نسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فمثلاً حكم المجتهد الكبير في لكنو منذ عام ١٨٢٠ - ١٨٦٧ وهو سيد محمد ناصرآبادي، بأنه إذا لم يكن لدى السيد إيمان حقيقي (أي لم يكن شيعياً)، فليس هناك جدوى من كونه سيداً^(٢٥). وقد كان على أسرة السيد التي ترغب في الحصول على مركز كبير بين الشيعة والسنة، أن تواجه صعوبات كثيرة.

ولقد كان ثراء وجهاء الشيعة ورعاتها في أود عاملاً مساعداً لجذب السادة إلى المجتمع الإمامي. كما أن المغول كان لهم ثراء واسع ومركز كبير أكثر من السادة، رغم أنه كان وضعهم أقل^(٢٦).

وقد أطلق الهنود كلمة (مغول) التي تعني (المغول Mongol) على كل من نزع من آسيا الوسطى بما فيها إيران، وسرعان ما أصبح هؤلاء الإيرانيون أو الأتراك يحتلون مناصب رفيعة في الحكومة، ورغم أنهم كانوا يستلمون منحاً من الأراضي لخدماتهم إلا أنهم كانوا من المالكيين المتغيبيين^(٢٧) كما أن كثيراً من المغول قدموا إلى الهند كتجار من مسافات بعيدة.

(٢٣) مير إنشاء الله خان: «لطيف السادة» مخطوط فارسي رقم 2021، or، الورقة 9a-b 6a المكتبة البريطانية، لندن.

(٢٤) معجم منطقة أود، الأول: ص ٣٢٤، الثالث ص ٢٩٨ - ٣٠٣.

(٢٥) «مشرف علي خان لکنوي، محرر، اسم الكتاب» بياض مسائل، ٣ مجلدات، لکنو، دون. ناشر، ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م - ١٨٣٦ م)، الثالث ص ٨٥.

وهذه مجموعة هامة من القرارات الشرعية التي صدرت في فترة أوائل الثلاثينات من القرن التاسع عشر، على يد كبار مجتهدي لکنو وخاصة السيد محمد والسيد حسين ناصرآبادي.

(٢٦) كروك: القبائل والطوائف، الرابع ص ٣ - ٦.

(٢٧) رفيع الدين أحمد: المسلمون في البنغال من ١٨٧١ - ١٩٠٦: قضية هوية (دلهي: مط. جامعة أكسفورد، ١٩٨١)، ص ١٤ - ١٥.

وكانت الامبراطورية المغولية تستخدم الفرس لأغراض إدارية ومن أجل اللغة الراقية في البلاط، وهذا يعني أنهم حصلوا على مناصب رفيعة كإداريين وموظفين ورجال القلم. ولما كان الحكم الصفوي في إيران قد أحدث تحولاً جماعياً نحو الشيعة الإمامية فإن المهاجرين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر قد أحضروا معهم هويتهم الشيعية، كما أن عدد هؤلاء المهاجرين لم يكن ضئيلاً، وقد علل تاجر المجوهرات الفرنسي شاردان Chardin تدني عدد السكان في أواخر القرن السابع عشر بالهجرة إلى الهند وجعلها من الأسباب في قلة عدد السكان^(٢٨)، وقد بنى شاردان ملاحظته على الأعداد الكبيرة من الإيرانيين الذين شاهدتهم في الهند، ولا شك أنه في حوالي ١٦٦٠ كان معظم المهاجرين من الشيعة.

وقد كان حوالي ٢٨٪ أو ١٣٦ من مجموع ٤٨٦، في خلال حكم الامبراطور المغولي أورانجزيب Awrangzib (١٦٥٨ - ١٦٧٨) من الإيرانيين^(٢٩).

على أن معظم الشيعة الإيرانيين كانوا يخفون عقيدتهم في بلاط المغول السنيين. وقد كان أيضاً حوالي نصف الإحدى والخمسين إدارياً كبيراً من الإيرانيين، كذلك فقد تأثرت السياسة في البلاط الحاكم بالصراع الديني ما بين الشيعة الإيرانيين والسنة من الأتراك في وسط آسيا^(٣٠).

وفي عام ١٨٩١ استقر ما يقرب من نصف عدد المغول في المقاطعات الشمالية الغربية وأود، ورغم أن هؤلاء كانوا يشكلون فقط ٣٪ من الطبقات الأشراف في المنطقة كلها، فقد كانوا حوالي ٦٪ من الأشراف في أود، وهذا يعلل بلا شك الفرص في العمل التي قدمتها لهم دولة أود خلال فترة القرن التاسع عشر، نظراً لأن البريطانيين كانوا قد ألغوا البيروقراطيات الإسلامية القديمة في دلهي والبنغال.

كذلك فقد أقام أكثر من ٥٠٪ من المغوليين في أود، بمناطق مثل لكنو وفايزآباد، وهما المركزين الإداريين الكبارين في الإقليم، وكان أكثر من ٤٠٪ من السكان في لكنو وحدها.

وكان المركز المغولي الأساسي الوحيد للسكان وهو منطقة سيتاپور Sitapur، وكانت الهجرة المغولية هناك تشجع بسبب الأبهة التي كانت عليها مقاطعة محمودآباد.

وكان هناك أعداد كبيرة من المغوليين من الشيعة الإيرانيين، أما البقية فكانوا في ثلاثة فئات: الأتراك شاغاتي Chaghatai، والتركماني والقرلباش، ومن بين الثلاثة كان القرلباش يشكلون أصغر مجموعة، وقد ساهم كل الشيعة في لعب دور هام في تأسيس المذهب الشيعي سواء في إيران وفي شبه القارة الهندية، وقد كان معظمهم يعيشون في أود.

(٢٨) سير جون شاردان John Chardin: رحلات في بلاد الفرس (لندن، مط. أرجونوت، ١٩٢٧) ص ١٣٠ - ١٣٩.

(٢٩) م. أثار علي: الأشراف المغول في عهد أورانجزيب (بومباي: دار النشر الآسيوية، ١٩٦٦)، ص ١٩ - ٢٠، ١٧٥ - ٢٧١.

(٣٠) جاجاديش ناربان ساركار: دراسة للهند في القرن الثامن عشر، المجلد (١): التاريخ السياسي، ١٧٠٧ - ١٧٦١ (كلكتة: ساراسوات Saraswat، ١٩٧٦)، ص ٢٤ وما بعدها.

وقد كان القزلباش في الأصل قد تكونوا من اتحاد القبائل التي تتحدث بالتركية في أناضوليا، تحركوا باتجاه الشرق في القرن الخامس عشر بسبب زيادة سيطرة العثمانيين على أراضيهم، ساهموا في تأسيس الدولة الصفوية الشيعية في إيران^(٣١).

وبعد ذلك بقرنين خدم بعضهم في جيش نادرشاه ولعبوا دوراً هاماً في غزو الهند، ونهب مدينة دلهي عام ١٧٣٩، وقد كان الحاكم الثاني لأود وهو صفدر جنك Safdar Jang يستخدم المغول الإيرانيين كفرسان له، بالإضافة إلى الشيعة من أهل كشمير، الذين كانوا يقتلون الإيرانيين في اللغة والزي. وقد استأجر ستة أو سبعة آلاف محارب من القزلباش من جيش نادرشاه. ولكن بعد هزيمة القوات على أيدي البريطانيين في باكسار Baksar في عام ١٧٦٤، طرد النواب شجاع الدولة كثيراً منهم، بل إنه هدم بعض بيوت المغول^(٣٢)، ومع ذلك، فقد صادف الرحالة الإيراني شوشتري Shushtari أعداداً كبيرة من أشرف القزلباش في لكنو وذلك في عام ١٧٩٦^(٣٣)، وبعد ذلك قلَّ عدد هؤلاء بتأثير عوامل أخرى^(٣٤)، وعلى الرغم من أن معظم الأتراك من المغول ينتسبون إلى المذهب الشيعي بل إنهم حتى في بعض الأحيان كغيرهم ممن هم من الطبقات العليا، اتبعوا هذا المذهب وذلك في القرن الثامن عشر، وهناك مثال على هذا في أسرة الخواجة موسى خان وهو عالم ينتسب إلى المتصوف بهاء الدين النقشبندي، ولما هاجر من وسط آسيا إلى الهند في أوائل القرن الثامن عشر تزوج من العائلة المالكة المغولية. وتحت تأثير برهان الملك وهو أول حاكم في أود، أصبح شيعياً، لكن ابنه مدار الدولة Madarui-Dawlah، رفض أن يكون منافقاً في دلهي التي يسيطر عليها السنة، أما ابنته فقد تزوجت نواب سادات علي خان في أود، ومنحه صهره ممتلكات تبلغ قيمتها حوالي ٦٠ ألف روبيه في السنة^(٣٥)، وقد استخدمت هذه الأسرة التركية ذات الأصول السنية اتباعها للمذهب الشيعي، كوسيلة لتقوية وتمتين العلاقات مع القوة الشيعية النامية، كقوة حكام أود.

وكان هناك عدد كبير من الأشراف منهم المشايخ والبتان Pathans.

وكان نصف أفراد طبقة «الأشراف» في المقاطعات الشمالية - الغربية وأود من المشايخ^(٣٦)، ولكن كانت النسبة أقل في أود، حوالي ٤٦٪، وقد أكد الأكثرية انتسابهم إلى الخلفاء الثلاثة الأوائل أو بعض الصحابة، وكان المشايخ معظمهم أو منهم من يميلون إلى السنة، وذلك على الرغم من أن بعضهم أصبحوا مواليين لعلي وخلفائه من الأئمة الأحد عشر، وكان كثير من المشايخ السنة يحتفلون بذكرى استشهاد الإمام الحسين، رغم أنهم

(٣١) أمين بناني، «انطباعات حول البنية الاجتماعية والاقتصادية لإيران الصفوية في أوج مجدها»، سلسلة دراسات إيرانية 11 (١٩٧٨): ص ٩ وما بعدها.

(٣٢) محمد فايز بخش: تاريخ فرح بخش، ترجمة وليام هوي، مذكرات دلهي وفايزآباد، مجلدان (الله آباد: مط. الحكومة، ١٨٨٨ - ١٨٨٩)، ص ٢، ٤.

(٣٣) عبد اللطيف الشوشتري: تحفة العالم، الورقة 193-b، Add. 23 المكتبة البريطانية.

(٣٤) حسين: تاريخ جايس Jais، ص ٩ - ١٠.

(٣٥) غلام علي نقوي، عماد السادات (لكنو: ناغال كيشور، ١٨٩٧، ص ١٢٦).

(٣٦) كرووك Crooke، القبائل والطبقات، ج ٤، ص ٣١٤ - ٣١٧.

يقطبون وجوههم عندما يشاهدون جلد الناس أنفسهم بالسياط ولم يكونوا يتقبلون توجيه اللعنات الى الخلفاء الثلاثة الأوائل.

أما الباتانيون Pathans وهم قبائل تتحدث بلغة البوشتو Pushtu، فقد كانوا يتحولون في شمال الهند، بعد قدومهم من أفغانستان ومن المنطقة حول پيشاور، خلال فترة العصر الوسيط، وقد شهد القرن الثامن عشر قدوم كثير من رجال البوختون Pukhtun الذين أصبحوا من «الباتان» ولكن بقي اسمهم «الرهيلة (Rahilah)»، وقد كان حوالي ٧٠٠,٠٠٠ منهم في المقاطعة يشكلون ثلث أفراد طبقة الأشراف في أواخر القرن التاسع عشر.

ولقد كان كثير منهم في أوائل القرن كبدو رعاة، استقر بعضهم كأصحاب أراضٍ ومحاربين في «القصبة»، وأصبح كثير منهم من الحرفيين والعاملين الماهرين وذلك قبيل احصائية (١٨٩١)، أما الباتانيون ومعظمهم في الأصل من السنة فقد احتفظوا بعقيدتهم شمال الهند، وربما كان بعضهم من الشيعة المتحدثين بالفارسية وقد أتوا من بانجاش Bangash العليا^(٣٧).

ويذكر إلفينستون Elphinstone الذي زار منطقة پيشاور في الفترة من ١٨٠٨ - ١٨٠٩، أنه وجد الأفغانيين يعادون طقوس الشيعة تماماً^(٣٨). وقد كان كثير من الباتان Pathans يمارسون الاحتفالات بذكرى استشهاد الإمام الحسين، رغم أن بعضهم قد ترك الطقوس وذلك في منتصف القرن التاسع عشر تحت تأثير منافسة النقشبندية^(٣٩).

على أنه ليس بإمكان العالم الاجتماعي أن يفسر الشعور الديني والروحي لدى أولئك الذين اعتنقوا المذهب الشيعي، لكن انتشار العقائد الدينية لدى الناس له بعض التعليقات أو التحليلات الاجتماعية، ويتبين لنا أن الطبقات الاجتماعية أو الجماعات التي استجابت للفكر الشيعي طيقاً لما تتضمنه بالنسبة لتقاليدهم الخاصة ولوضعهم أو مركزهم الاقتصادي.

ولقد أخذ السادة باعتبارهم من نسل الأئمة الذين يوقرون من قبل الشيعة، اكتسبوا الكثير من الناحية الفكرية، وفي أود التي يحكمها حكام من الشيعة كان بإمكانهم أيضاً الاستفادة من الناحية المادية، فقد كانوا يتلقون الهبات من قبل المؤمنين بالإضافة لما اكتسبوه من الحكام. كذلك فإن الأكثرية الساحقة من السادة ظلت تشكل جزءاً من المجتمع السني الذي كان لهم فيه أيضاً تقدير.

أما بالنسبة للمغول فلم يكونوا شيعة إلا عندما قدموا من إيران، وكانوا من السنة الأقوياء عندما كانوا مثلاً من بخارى، بل إنه في وسط جو الحكم في أود، كان بعض الأشراف من السنة الأتراك يعتقدون أيضاً المذهب الشيعي.

أما المشايخ فقد ظلوا سنة، وربما كان هذا من ناحية لأنهم كانوا يسكنون في مدن بعيدة عن تأثير البلاط النيشابوري، كذلك فقد كان من المطلوب بالنسبة لهم من أجل اتباع

(٣٧) موتستوارت إلفنستون: تاريخ مملكة كابول، مجلدان (كراتشي: مط. جامعة أكسفورد، طبعة معادة، ١٩٧٢)، الثاني ص ٥١.

(٣٨) المرجع السابق، الأول ص ٢٦٩ - ٢٧١.

(٣٩) تذكرة بي بها ص ١٧٥ - ١٧٦.

المذهب الشيعي أن يقوموا بتوجيه اللعنات الى من هم من أجدادهم وهم الخلفاء وصحابة الرسول الذين نافسوا علياً، أما الباتان Pathans وهم ذوو المشاعر السنية القوية فنادراً ما كانوا يعتنقون المذهب الشيعي وكانوا على تنافس مع أسر السادة في أود، من أجل الأرض والسطوة.

الحرفيون

لقد كان كثير من الأشخاص من الجماعات الأشراف التي تحدثنا عنها من أسر أصحاب الأراضي أو من العسكريين، وقد كان المسلمون في المنطقة التي نقوم بدراستها من هذه الفئات، ومع ذلك فنادراً ما كانوا يعملون في الريف، فكانوا يشكلون فقط ٣٪ من العاملين بالزراعة^(٤٠). إلا أن الطبقات العاملة من المسلمين كانوا يعملون كحرفيين أكثر من عملهم في الزراعة.

وقد كان هناك على سبيل المثال من حوالي ١,٨ مليوناً من العاملين في صناعة النسيج، نصف هؤلاء كانوا من المسلمين، رغم أن المسلمين كانوا يشكلون بصفة عامة ١٣٪ تقريباً من السكان.

ويتمثل التحول الى الإسلام بين النُسَاج في شمال الهند^(٤١)، وقد كان هؤلاء النُسَاج وعددهم ١٢٪ من مجموع المسلمين، يشكلون أكبر جماعة إسلامية.

ولم يكن هناك عدد أكبر من ذلك إلا بالنسبة للمشايخ (٢١٪)، والحقيقة أن كثيراً من المشايخ اشتغلوا بالفعل كُنُسَاج، معتمدين على الزراعة لفترة من الوقت.

وسرعان ما أحس هؤلاء النساج بهويتهم الإسلامية^(٤٢)، وكانوا يعرفون الكثير عن الشريعة الإسلامية في تلك الفترة من أواخر القرن التاسع عشر، فاتبعوها في مسائل الزواج وغير ذلك، وقد كانوا يتنافسون مع البريطانيين بالنسبة لصناعة النسيج^(٤٣).

ولا يمكن إعطاء عدد كلي للشيعية بين هؤلاء النساج، إلا أنه في المركز الهام لصناعة النسيج وهو تاندا Tanda، ويبعد (٣٦) ميلاً شرقي فايزآباد، كان الشيعة يمثلون ٣٪ من السكان المسلمين^(٤٤).

كما أن بعض الشيعة كانوا يمارسون دينهم في الخفاء خوفاً من جيرانهم السنة وهذا

(٤٠) انظر الجدول (الاحتلال عن طريق الدين في كتاب تأليف د. س. بيلي D.C. Baillie بعنوان: احصائيات الهند، ١٨٩١، المجلدات ٢٦ - ٢٨، والمقاطعات الشمالية - الغربية وأود (اله آباد: مط. حكومة أود، ١٨٩٤) مجلد ٢٨، الجدول D، وانظر أيضاً أرشد علي أعظمي «مركز الزراعة في اقتصاد أود خلال الحكم النوابي، سلسلة مؤتمري التاريخ الهندي ٢٩، رقم ٢ (١٩٦٧)، ص ٨٢ - ٩٠ الذي يبين أن ٥٠٪ من السكان لم يكونوا من الزراعيين.

(٤١) بيلي: احصائيات الهند، ١٨٩١، مجلد ٢٦، خرائط في آخره.

(٤٢) كروك Crooke: القبائل والطوائف، المجلد (٣) ص ٤٩٣.

(٤٣) د. حسين: تحالف النساج، أثر الصراع بين الدخل الحكومي والاستثمارات التجارية لشركة الهند الشرقية، ١٧٥٠ - ١٨٠٠ «مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للهند (١٦) ١٩٧٩: ص ٣٢٣ - ٣٤٥.

(٤٤) معجم مقاطعة أود، الثالث ص ٤٩٣.

ما يجعل الإحصاء تقريبياً، ومع ذلك فإنه كان للشيعة تأثير كبير حتى عندما كان عددهم ضئيلاً.

وقد كان في تاندا «Tanda» أربع وأربعين مسجداً، وأربع وثلاثون إمام بارا Imam barah وذلك لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين، وكان فيها أيضاً عشرة معابد هندوسية، بل إن السنة أنفسهم كانوا في حياتهم الدينية حزينين على ما لحق بآل البيت. وهناك فقرة في احصائية عام ١٨٩١ تقول بأنه كانت هناك معيارا غير مناسبة للتمييز بين الفريقين السنة والشيعة.

لقد كان الفرق ما بين الطائفتين أو المذهبين لا يفهم تماماً خاصة بين السنة وأولئك الذين ليست لديهم ثقافة إسلامية كافية، وكان على الشخص المكلف بالإحصاء أن يراقب الناس أثناء الصلاة للتأكد من كيفية وضع اليدين أثناء الصلاة، فالسنة يضعون يداً على الأخرى فوق صدرهم، بينما الشيعة يضعون أيديهم منخفضة إلى الجانبين^(٤٥).

وكانت الجماعات الإسلامية الأخرى ذات الأعداد الكبيرة تتضمن الحلاقين، باعة الزيت، الخياطين، الجزارين، السقاة، الحدادين والغسالين، هذه الفئات السبع بالإضافة إلى النساجين كانت تقدر بأكثر من ٢٦,٥٪ من كل المسلمين.

وكان بقية العاملين الحرفيين وأصحاب المهن يبلغ مجموعهم ٣٧٪، ولما كان المشايخ والباتان أيضاً يعملون كحرفيين فإن المرء يتكون لديه انطباع بأن معظم المسلمين كانوا يشكلون جزءاً من مجتمع بورجوازي.

وقد كان المسلمون أكثر قابلية من الهندوس للعيش في أماكن مدنية، في حين أن ٢٥٪ من المسلمين كانوا يسكنون فيها^(٤٦). ولما كان أكثر من ٩٦٪ من العمال الزراعيين من الهندوس فإن أولئك المسلمين الذين لم يكونوا يقطنون في المدن، كانوا يسكنون في القرى الكبيرة حيث بإمكانهم متابعة حرفهم، وبالنظر للنسبة الكبيرة لعدد الهندوس بين السكان (٨٧٪ في عام ١٨٩١) فإن هذا كان يعني أنهم شكلوا غالبية المجتمعات المدنية، كذلك فقد سيطروا على التجارة، وقد وصف بايلي Bayly العلاقات بين المسلمين والهندوس في الريف والمدن.

وقد كان أصحاب الأراضي من ذوي «القصة» يستخدمون الفلاحين الهندوس للعمل في أراضيهم في حين أن التجار المدنيين من الهندوس كانوا يستخدمون حرفيين من المسلمين^(٤٧).

وهناك تفسير للتحويل الهندوسي للمسلمين هو أن الجماعات ذات الطبقات الوضيعة كانت تحاول الخروج من نظام الهندوس لتمحو عنها وصمة العار^(٤٨)، وربما كان أحد

(٤٥) بيلى Biellie: احصائيات الهند، ١٨٩١، مجلد (٢٦) ص ١٧٧.

(٤٦) إدموند هويت، (محرر): تقرير حول احصائية المقاطعات الشمالية - الغربية وأود في تاريخ السابع عشر من شباط ١٨٨١ (اله اباد: مط. حكومة المقاطعات الشمالية الغربية وأود، ١٨٨٢، ص ٨.

(٤٧) Bayly: الحكام: رجال المدن والتجار، ص ١٩٣.

(٤٨) هويت White: تقرير من احصائية ١٨٨١، الصفحات ٦٢ - ٦٣.

التفاسير لكثرة عدد النساجين المسلمين في شمال الهند يكمن في إنتاج هؤلاء للمسلمين المستوطنين وللحكام المسلمين^(٤٩).

وهناك تفسير مماثل بالنسبة لانتشار المذهب الشيعي، فقد أصبحت مسألة رعاية أشرف الشيعة بنمو أو بازدهار البلاط الإمامي في القرن الثامن عشر، أصبحت هذه المسألة دخلاً أساسياً بالنسبة للاقتصاد، وأصبح المرء يجد جماعات تخدم الشقاق الى أحزاب أو زمر سنية وشيعية الذي كان غالباً قضية الزواج بين الأقارب، وهناك مثال في الشعراء والرواة أو (النقلة) السنة الذين تحولوا الى الشيعة في المراكز المدنية في أود. إلا أن بعض أفراد من الفريقين السنة والشيعة لم يكونوا يتزوجون، كذلك فإن طبقة الصباغين الذين كانوا يعملون في صبغ الأقمشة انقسموا الى سنة يتزوجون من الأقارب وجماعات شيعية. وفي منطقة دوب Doab العليا أصبح الخدم والفلاحون من الشيعة بتأثير أسيادهم من أصحاب الأملاك الشيعة.

وقد حدثت هذه الظاهرة أيضاً بشكل واسع في أود، وقد كان معظم الحرفيين وأصحاب الصناعات ممتنين للشيعة لتشجيع بعض صناعاتهم بتأثير الطقوس الشيعية مثل إعداد النصب التذكاري لدى الاحتفالات الشيعية، وقد أصبح إعداد هذه النصب حرفة أساسية في أود^(٥٠).

كذلك فإن بعض الجماعات أيضاً وهي جماعات متدنية المركز أصبحت من الشيعة، (محظيات) يرعاهن البلاط الحاكم، وقد كان حوالي ٨٥٪ من هؤلاء حسب احصاءات أجراها البريطانيون من المسلمات، وكثير من الشيعة، وقد كانت هؤلاء النسوة في الأصل بين الهندوس تأتي من الأرمال، فقد كان الرجال يتزوجون أما الزوجات فبقين مخلصات، نظراً لأنه قد تم شراؤهن من غير طبقات، وكانت النساء الموجودات ضمن هذه الطبقة يصبحن راقصات أو محظيات، وكانت الفتيات يبدأن في التعلم في سن الثامنة. وفي هذا الوقت يقدم الوالدان الحلويات للجامع المحلي لتقدم الى الفقراء. وقد اجتذب المذهب الشيعي هذه الجماعة من الناس نظراً لأن شرعها يبيح الزواج المؤقت (زواج المتعة)، وهو ما يوفر الحماية للمحظيات^(٥١).

كذلك فقد هيأت الشيعة صلة بين هؤلاء وبين الطبقات المالكة التي كانت تستثمر المحظيات، ومنحت الأراضي في المناطق الريفية (Zamindars)^(٥٢).

ولقد كان للشخصيات الشيعية والمناسبات الدينية لدى الشيعة تأثير حتى بين جماعات السنة الذين لم يتبعوا المذهب الشيعي، وقد كان أصحاب الحوانيت من السنة في طبقة Ranki يحتفلون بشهر محرم، وهو شهر الحداد على الإمام الحسين.

وكان السنة في Dalmau يقيمون معرضاً في محرم حيث يؤمه (٦) آلاف شخص في

(٤٩) كروك: القبائل والطبقات، الثاني ص ٩٩ - ١٠١.

(٥٠) المرجع السابق الأول ص ٢٥٦ - ٢٥٩، والرابع ص ٢٢٩ - ٢٣٢.

(٥١) معجم مقاطعة أود، الثاني ص ٣٥٩ - ٣٩٦.

(٥٢) دونالد باتر: مخطط طوبوغرافي واحصائي للضواحي الجنوبية من أود ومعسكر سلطانبور - أود، (كلكتة:

المط. العسكرية للبنغال، ١٨٣٩) ص ١٥٣ - ١٥٤.

السنة^(٥٣). وكانت الأيام التي هي بالنسبة للشيعة المتشددين فترة حرمان يحترمونها، أصبحت بالنسبة للقرويين من السنة فترة أو فرصة للتجارة.

إلا أن هذا لم يشكل أي معادة للشيعة لأن الكل يحترمون ويجلّون الإمام الحسين. وقد كان المذهب الشيعي لدى الحرفيين والعمال يواجه عديداً من التغيرات وربما كان أحد الأسباب هو قلة اتصالهم بالآداب الإسلامية وكثيراً ما كانوا يفتقدون الصلات الوثيقة بعلماء المسلمين الكبار.

وكان بين طاحني القمح (bharbunja) مسلمون كانوا لدى زواجهم يدعون مولوي مسلم^(٥٤).

وكان المتسولون من المسلمين والموسيقيين الذين كرسوا لطائفة سالار مسعود غازي متمركزين في باهاريش Bahraich، كان هؤلاء يقومون بالخدمة في الأفراح والمآتم الخاصة بالفقراء^(٥٥).

وقد وجد لدى الحرفيين والعمال المسلمين تكريس لآل النبي، لكن هذا نادراً ما كان يتضمن لعنهم أو قبولهم للعن الخلفاء، وحاول أشرف الشيعة أو نبلاء الشيعة أن يضموا الطبقات الشعبية إلى الشيعة الإمامية ونجحوا في ذلك تماماً خاصة عندما كان هؤلاء الحرفيون أو العمال يعملون لصالح شخص من الشيعة، ومن ناحية انتشار دين الإمامية بين الطبقات الفقيرة، ومن ناحية أخرى صنع الحرفيون والعمال ثقافتهم الدينية الخاصة مكرسين أنفسهم لآل البيت، وكان للحكايات المروية عن معاناة واستشهاد الشيعة من الأئمة أثر كبير في إثارة مشاعر الناس الذين كانوا قد ضاقوا بالإقطاعية الكهنوتية في شمال الهند.

التصوف والتشيع

كان هناك أعداد كبيرة من المسلمين في شمال الهند، بالإضافة إلى منطقة دافاليس Dafalis، ومعظمهم يوقرون الأئمة وأفكارهم وينشرون هذه الأفكار بين العمال والحرفيين، وكان هناك بعض من رجال الدين (الفقراء) ينتمون إلى الطرق الصوفية مثل المدارية Madariyyah، ولم يكونوا يتبعون تعليمات الكتب المقدسة. وكان هؤلاء وعددهم ١٥٠ ألف شخص في أواخر القرن التاسع عشر يشكلون ٣,٢٪ من مجموع السكان المسلمين، وكانت طائفة المدارية تتركز في مقام شاه مدار Madar في ماكانبور Makanpur، وهو ولي جاء من حلب إلى الهند، في القرن الخامس عشر وقد قلد هؤلاء رجال الهندوس (Sanyasis) الذين كانوا نادراً ما يصلون أو يصومون، وكانوا يستعملون القنب الهندي (المخدر) بحرية.

وكان بعضهم من ذوي العائلات، وآخرون يتجولون، وكانوا يوقرون بشكل خاص أربعة شخصيات دينية هي محمد، الأئمة علي والحسين والحسن البصري^(٥٦)، وكان تركيزهم

(٥٣) كروك Tribes and castes: Crooke / ٣ ص ٨ - ١ ومعجم مقاطعة أود، الثالث: ص ٢٠٥.

(٥٤) كروك: المصدر السابق ١٣/٢ - ١٩.

(٥٥) المرجع السابق، الثاني ص ٢٣٩ - ٢٤٤.

(٥٦) من أجل شاه مدار Madar وتراثه انظر كتاب تأليف جورج فيكونت فالتينا بعنوان: رحلات في الهند

على علي والحسين أكثر من أبي بكر وعمر يمثل تكريماً شيعياً لآل النبي .
ومن بين الفرق أو الطرق الأخرى القلندرية، آزاد Azad، بي نافا Bi Nava،
وجماعات (Sain).

أما الطرق الأخرى كالششتية والجلالية والسهورودية والقادرية، فكان معدل اتباعها من
الفقراء أو الدراويش، أربعة أو خمسة آلاف.

أما في المقاطعات الشمالية الغربية فهناك فقط ٦٥٨ درويشاً أو فقيراً من
النقشبنديين^(٥٧)، كما يذكر ذلك المؤرخون وذلك في خلال القرنين الثامن عشر والتاسع
عشر.

وإذا كنا نعتبر أن عدد أتباع الطريقة مؤثر على أنها تنال دعماً شيعياً كبيراً، فيمكن
اعتبار الطريقة المدارية فقط كطريقة ذات أتباع كثيرين.

وقد أظهرت الطريقة الششتية تسامحاً نحو المذهب الشيعي^(٥٨)، وقد وجد الشرواني
Shirvani الذي زار الهند أوائل القرن التاسع عشر أن بعض أشخاص أو متصوفين من
الطريقة الجلالية السهورودية كانوا يعدون أنفسهم من الشيعة وكانوا يلعبون الخلفاء السنة،
وكان كثير من هؤلاء يهملون الطقوس الدينية ويشربون الخمر^(٥٩). ولا شك أن وجود آلاف
المتصوفين من أتباع الطريقة الجلالية في شمال الهند قد ساعد في انتشار الأفكار الشيعية بين
الطبقات الشعبية.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

خاتمة

لقد وجدت الشيعة الإمامية في أود كطبقة شعبية وليس كطبقة حاكمة ذات قوة. ومن
ثم فقد كان من أكبر مؤيديها الإيرانيون في الإدارات الحكومية الكبيرة والسادة من أصحاب
الأراضي المتوسطين.

وقد تواجدت بعض الجماعات منها نصف مدنية وأخرى مدنية من الحرفيين والعمال،
ووسط هذه الجماعات نشأت طائفة من آل البيت، وفي أوائل القرن الثامن عشر كان معظم
هؤلاء المؤمنين من الطبقة الشعبية قد وجدوا أنه ليس هناك تناقض بين تكريس أنفسهم لعلي
وزوجته فاطمة، ونسلهما، وبين توقيير الخلفاء الثلاثة الأوائل.

ولما أخذ مركز الدولة الشيعية في أود يقوى وكان الفكر الشيعي هو الفكر السائد لذلك
أخذ بعض العمال والحرفيين يختارون المذهب الشيعي، وكان ذلك على نطاق واسع خلال
النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكن هذا لم يمنع من أن غالبية المسلمين كانوا

وسيلان، والبحر الأحمر ومصر في السنوات ١٨٠٢ - ١٨٠٣ - ١٨٠٥ - ١٨٠٦، المجلد الرابع (لندن،
١٨١١)، الأول ص ١٦٠ - ١٦٣.

(٥٧) كروك Crooke: القبائل والطبقات، الطرق ذكرت بالترتيب الهجائي.

(٥٨) نفس المرجع السابق، الثاني ص ٢٢٨ - ٢٣٠، سيد أظهر عباس رضوي: شاه عبد العزيز: الأخلاق
الفاضلة، الجدل الطائفي والجهاد (كاتبياً: معرفة، ١٩٨٢) ص ٣٧٣ - ٣٧٧.

(٥٩) زين الدين شرواني Shirvani: بستان السياحة (طهران، دون ناشر، ١٨٩٧)، ص ١٢٢ - ١٢٣.

يحترمون آل البيت والخلفاء في آن واحد.

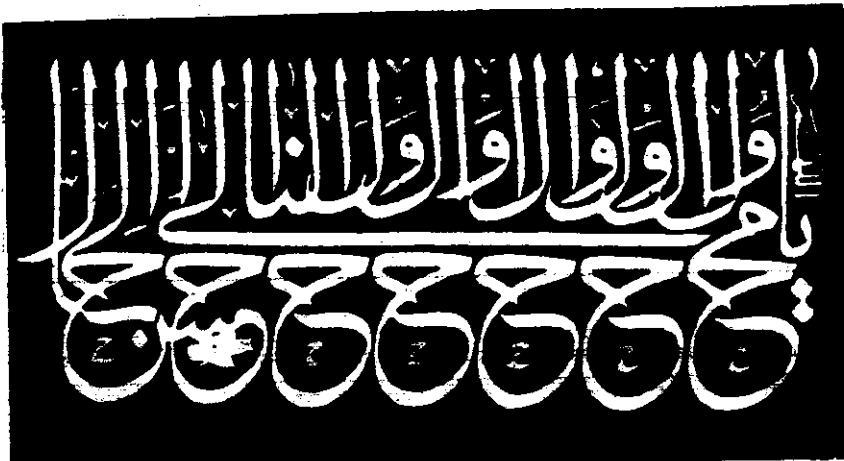
إن المراكز التي كانت تستقطب السكان كما تظهرها احصائية عام ١٨٨١، تبين الزيادة في المقاطعات الشمالية الغربية وأود، من مظفر نگر وحتى غازي پور Ghazipur^(٦٠).

والى جانب لکنو وفايزآباد، كان الشيعة يسكنون دوب العليا Doab وفي بنارس، وكان النواب شجاع الدولة يسيطر على هذه المناطق ثم تخلى عنها الحكام تدريجياً، الى شركة الهند الشرقية في الفترة من ١٧٧٥ - ١٨٠١، وفي الشمال كان عدد من أعلنوا اتباعهم للمذهب الشيعي (وربما كانوا فقط من المثقفين)، حوالي ١٠,٠٠٠ أو أكثر، في مظفر نگر، وفي بلندشهر Bulandshahr وفي مراد آباد، مع بيچنور Bijnor ما يقرب من ٦,٠٠٠.

أما في الجنوب الشرقي فكان هناك مناطق بها ١٠,٠٠٠ تتضمن اله آباد، جونپور واعظم نگره Azamgarh، وفي مركز الخريطة التي تمثل تمركز الشيعة توجد لکنو التي تحتوي ٣٤,٥٥٠ من الإمامية، حيث كانوا فقط هنا يزيدون على ٥٪ من مجموع السكان الذين كانوا ٣٠٪ من المسلمين هناك.

وفي فايزآباد كان هناك ١١,٠٠٠ من الشيعة، وفي بارابانكي Bara Banki أكثر من ٥,٠٠٠، أما بقية أود ففيها قليل من الشيعة.

وعلى الرغم من أن الاحصاءات تبين أن هناك أعداداً ضئيلة من الإمامية الشيعية في شمالي الهند أي حوالي ٣٪ فقط من المسلمين، فقد امتدت الحركة على مساحة جغرافية واسعة واجتذبت لها أتباعاً من مختلف الطبقات الاجتماعية. وأياً كان عدد الشيعة الإمامية فهم يمثلون تأثيراً قوياً وفعالاً في شمالي الهند في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.



(٦٠) هوايت White : تقرير عن احصائية عام ١٨٨١، النموذج II: ص ٢ - ٣.